

السؤال

أعمل مضييفة في إحدى الخطوط الجوية ، وقد حصلت على عمل الأحلام هذا قبل أن أعتنق الإسلام ، وأعلم الآن أن كثيراً من جوانب عملي لا تليق بالمرأة المسلمة ، كارتداء البزة الخاصة بالمضييفات ، التي ليس الحجاب جزءاً منها بلا شك ، وتقديم الخمر ، ولحم الخنزير للمسافرين .. الخ .، ولكنني أحاول قدر الإمكان الابتعاد عن ذلك ، وقد هُيئ لي الابتعاد عنها فعلاً بأن صرت مشرفة ، ولم أعد أمارس ذلك بنفسني ، إلا إذا اقتضت الحاجة في النادر . شهادتي الجامعية كانت في اللغات ، أي أنني أتحدث إلى جوار الانجليزية التركية والأسبانية و شيئاً من العربية ، وهذه المواهب مطلوبة بشدة في العمل الذي أقوم به ، لهذا هم يدفعون لي الكثير من المال ، وأنا- ولله الحمد- أجد متعة بالغة في هذا العمل ، لكوني أتنقل من مكان إلى مكان عبر القارات كلها ، وأنظر إلى فسيح خلق الله وإبداعه . وقد يظهر هنا مأخذ آخر ، وهو السفر من غير محرم ، فأنا ما زلت عازية ، وعملي كله سفريات من مكان لآخر ! لكننا في الحقيقة نحن المسلمات اللواتي نشأن في بيئة غير إسلامية وعشن في الغرب يفهمن جيداً أن المحرم لا يعني الشيء الكثير في السفر هذه الأيام ، فالخطوط آمنة ، ولم يعد هناك أي خطر من أي نوع . ورغم كل هذا فإنني أعمل جاهدة على اتباع تعاليم الإسلام ، كالصلوات الخمس في وقتها ، وارتداء الحجاب في غير أوقات العمل ، وقراءة القرآن ، واتباع السنة ، ليس هذا فحسب ، بل إنني قدّمت لأعمال أخرى كالتدريس فلم يحالفني الحظ ، وكي أكون صادقة وواضحة أكثر فإنني لا أنوي ترك عملي بهذه السهولة لمجرد أنه لا يوجد لدي محرم يسافر معي ، فهو عمل جد مجزي في أيام أصبح الاقتصاد العالمي فيه سيئاً جداً ، وقلّ من يحصل على ما أحصل عليه ، إضافة إلى أنني أستمتع كثيراً بالتنقل في أرض الله والصلاة في مساجد الأرض كافة ، ولست أنا المسلمة الوحيدة التي تسافر من غير محارم ، بل هناك الكثير ممن يسافرن كذلك ، فالوقت قد تغير ، وأصبح السفر ضرورة للجميع الذكر والأنثى ، ولم يعد فيه من الإشكالات والمخاطر كما كان في السابق في زمن القوافل والجمال . فهل أترك هذا العمل من أجل الله . وهل الدخل الذي أتحصل عليه من هذا العمل حرام ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

نحب أن نسجل في بداية الجواب هنا الانطباع الإيجابي الذي يشعر به كل مسلم يقرأ سؤالك ، ويقف على ما فيه من حرص على معرفة الحكم الشرعي رغم الاغتراب الهائل الذي تعيشينه في عملك ومجتمعك ، فيتصور القارئ كم هي بعيدة السماء التي ترحلين بين جنباتها ، والقارات العظيمة التي تنتقلين بينها ، وكم هي المغريات والفتن التي تتعرضين لها ، في بيئة لا تعرف

شيئا من معاني الالتزام بالشريعة والعبودية الصادقة لله رب العالمين ، ولا ترى في الدنيا سوى ملذاتها وامتعتها ، وأنت في كل ذلك لا رقيب عليك سوى رب العباد الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو معكم أينما كنتم معية علم وتدبير ، ورغم ذلك كله تحرصين على توجيه السؤال لجهة بحثية شرعية لتتعرفي على الحكم الشرعي في ذلك .

فالحمد لله أولا وآخرا أن الحس نحو الحلال والحرام بلغ أكباد السماء وآفاق الأرض ، وأن الناس – مهما ابتعدوا في حياتهم عن مجتمعاتهم الإسلامية – فإن نور التوحيد شعلة باقية بإذن الله في قلوبهم وعقولهم ، لا بد أن يتاح لها يوم ، لتسطع فيه من جديد .

وأما إذ صدقتنا في شرح أحوال عملك وظروفه ، كما صدقت أيضا في توضيح قصدك من سؤالك وما يمكن أن تتقبلي الالتزام به من الجواب ، فنحن نصدقك القول والنصح أيضا ، ولن نستعمل سوى اللغة الشرعية المحضنة التي توضح لك الموقف الشرعي بعيدا عن اعتبارات أخرى قد تكون محل خلاف ونظر .

وتوضيح ذلك أنك سلمت في السؤال بتحريم عمل المسلم في تقديم الخمر والخنزير والمحرمات للناس ، سواء مسلمين أم غير مسلمين ، كما سلمت بحرمة عمل المسلمة بلباس غير ساتر ، بل العمل في العادة في مثل هذه الأماكن يكون بلباس متبرج ، ولكنك تجاوزت ذلك بجملة واحدة حين قلت إنك لم تعودي تمارسين ذلك بنفسك ، بل انتقلت إلى دور الإشراف والمراقبة والمحاسبة ! فكيف ترين نفسك سلمت من الآفات السابقة !؟

ألا ترين معنا أن المشرف على المخالفة شريك في المسؤولية أيضا؟! أرايت لو أن أحدهم أنكر مسؤولية المشرف في مجالات الحياة الأخرى ، وقال على سبيل المثال إن مدرب فريق كرة القدم لا يتحمل المسؤولية نتيجة إخفاق فريقه أو نجاحه ، هل يتقبل عاقل منه ذلك الكلام؟! كيف والمشرف هو المعين والمحاسب والذي يتابع العملية بكامل تفاصيلها ، فلا بد أنه شريك في تبعة ذلك إيجابا أو سلبا .

وهكذا هو أيضا الحكم الشرعي في الإشراف على المحرمات ، فلا شك أنه عمل محرم أيضا ، فإله عز وجل يقول : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) المائدة/2 ، وقال صلى الله عليه وسلم : (لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ) رواه أبو داود (3674) وصححه الألباني في صحيح أبي داود .

وفي الوقت نفسه ؛ فإن الاختلاط الفاحش الذي تتعرض له المضيفة أو المشرفة في الطائرة ، واللباس المخالف الذي تلتزم به مع شركتها ، وتعرضها للخلوة بالرجال والانتطاع معهم لظروف العمل ونحو ذلك من الأمور : هي الخطر الأكبر في عملك ، الذي يجب أن تلتفتي إليه وتنشغي بأمره .

وأما اختزال الموضوع في إشكالية " السفر بغير محرم " ، واختلاف الأحوال اليوم عن أحوال السفر القديمة : فذلك من تلبيس الشيطان الذي يسعى في صرفك عن المحرمات الواضحات إلى شيء من الشبهات .

يقول ابن تيمية رحمه الله :

" إذا أعان الرجل على معصية الله كان آثما ؛ لأنه أعان على الإثم والعدوان ، ولهذا لعن النبي صلى الله عليه وسلم الخمر ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وبائعها ، ومشتريها ، وساقبها ، وشاربها ، وأكل ثمنها .

وأكثر هؤلاء - كالعاصر والحامل والساقى - إنما هم يعاونون على شربها ، ولهذا ينهى عن بيع السلاح لمن يقاتل به قتالا محرما : كقتال المسلمين ، والقتال في الفتنة ، ومن أخذ عوضاً عن عين محرمة ، أو نفع استوفاه ، مثل أجرة حمّال الخمر ، وأجرة صانع الصليب ، وأجرة البغي ، ونحو ذلك ، فليصدق بها ، وليتب من ذلك العمل المحرم ، وتكون صدقته بالعوض كفارة لما فعله ؛ فإن هذا العوض لا يجوز الانتفاع به ؛ لأنه عوض خبيث ، ولا يعاد إلى صاحبه ؛ لأنه قد استوفى العوض ، ويتصدق به ، كما نص على ذلك من نص من العلماء ، كما نص عليه الإمام أحمد في مثل حامل الخمر ، ونص عليه أصحاب مالك وغيرهم .

انتهى . " مجموع الفتاوى " (22 / 141 - 142) .

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله :

" مما تقدم من الأدلة يعلم تحريم توظيف المرأة في المجالات التي تخالط فيها الرجال ، وتدعو إلى يروضا ، والإخلال بكرامتها ، والإسفار عن بعض محاسنها : مثل كونها مضيضة في الطائفة " انتهى من " مجموع فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم " (10/250).

وانظري في موقعنا الفتوى رقم : (159104) .

ومن هنا : ندعوك إلى مراجعة كتابتك ، والتأمل في " عمل الأحلام " كما أسميته في سؤالك ، فهي حقيقة أحلام ، أحلام الدنيا الزائلة ، التي ستفنى ونفى معها ، وتبقى أعمالنا بعدها في صحائفنا محفوظة علينا ، وهناك نقف بين يدي ربنا سبحانه وتعالى ، ولا ندري هل يعاملنا بعفوه ورحمته وكرمه ، أم يعدله جزائه ، وحينئذ ستكون كل المتع التي صحبتها المعصية أسباب الحسرة والندامة الحقيقية ، يقول الله عز وجل : (وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) يونس/54.

ثم اعلمي - أختنا السائلة - أن أبواب السعادة في الدنيا كثيرة ، ولكنها كلها أبواب مقفلة ، لا تفتحها إلا السعادة القلبية المحصورة في رضوان الله عز وجل ، وحبه ، وحب كل شيء يقرب إلى حبه ، فإذا ملكت هذا المفتاح فلا يضرك من أي باب دخلت حينئذ ، ولكن تأكدي أن مفتاح محبة الله سبحانه لن يفتح لك أبوابا تشاركين فيها في تقديم كبائر الذنوب للناس ، سواء من جهة اللباس أم الأطعمة والأشربة المحرمة أم الاختلاط الفاحش ، ولو تأملت فيمن حولك من الناس لوجدت كثيرا منهم من السعداء حقيقة ، رغم اجتنابهم مثل تلك المعاصي والمحرّمات ، وقد يسر الله لهم من الأعمال الرائعة الممتعة ، والحياة الأسرية الهانئة ، والمال الحلال الطيب ما يسعدهم ويرضيهم ، وفي الوقت نفسه لا يعصون الله ما أمرهم ، وهمهم الأول والأخير هو السعادة الأخروية في جنة عرضها السماوات والأرض .

هي دعوة للمراجعة والمحاسبة ، والتأمل في الحاضر والمستقبل ، فإذا توفرت العزيمة الصادقة والنية الصالحة في طلب العمل المباح ، وأوشك الله أن يمن عليك برزق عاجل ، أو آجل ، يعوضك خيرا مما فاتك ؛ قال الله تعالى : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) الطلاق/2-3 .



والله أعلم .